مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد(8)، العدد (2)، (ديسمبر-2023)، ص 321-333
ISSN: 2602-5566 EISSN:2716-8999

البعد السياسي للفلسفة الإيكولوجية عند آرني نايس

The Political Dimension of The Ecosophy of Arne Naess

محمد كندري[1]* ، عارف بن حديد[2]

[1] مخبر بناء المجتمعات وديناميكية الأقاليم(FOSDYT) المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار- قسنطينة (الجزائر)، kendri.mohamed@ensc.dz

[2] المدرسة العليا للأساتذة الكاتبة آسيا جبار- قسنطينة(الجزائر)، benhadidaref@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2023/07/19 **تاريخ القبول:2023/11/16**

ملخص:

آرني نايس فيلسوف نرويجي عُرف بفلسفته البيئية والمسماة ب: «الإيكولوجيا العميقة». تقوم هذه الفلسفة على اتخاذ موقف جدّي من الأزمة البيئية عن طريق طرح أسئلة جذرية تُسائل علاقة الإنسان بالطبيعة، عكس توجّهات أخرى تصبو إلى حلول سريعة وسطحية في لحظة قصيرة. تغوص الإيكولوجيا العميقة في جذور المشكلة. يكمن مبدؤها الأساسي في الإيمان بأنّ البيئة الحيوية تستحقّ الاحترام وينبغي الاعتراف بأنها بانها تمتلك حقوقا أخلاقية وقانونية متأصلة، بغض النظر عن فائدتها للأغراض البشرية. كانت فلسفة نايس مُوَجِّهَةً لمواقفه السياسية إزاء القضية الإيكولوجية. نظراً لأهمية الموضوع وراهنيته أعددنا هذه الورقة البحثية لتقصّي حيثيات فلسفته منتهجين في سيرنا مقاربة تحليلية نتبيّن من خلالها أهمّ المرتكزات الفكرية التي بنى عليها أسلوبه في التفلسف والفعل على حد سواء، حتى نوضّح تقاطع الإيكولوجيا العميقة والنشاط السياسي كوسيلة لمعالجة الأزمة البيئية ومنع الكوارث البيئية المحتملة في المستقبل.

كلمات مفتاحية: آرني نايس؛ الإيكولوجيا العميقة؛ أزمة بيئية؛ لاعنف غاندي؛ فعل سياسي

Abstract

Arne Naess was a Norwegian philosopher best known for his environmental philosophy called « Deep Ecology». This philosophy involves taking a profound stance on the environmental crisis by posing radical questions about the relationship between humans and nature. Unlike other ideologies that offer superficial and quick-fix solutions, Deep Ecology delves deeply into the core issues. Its fundamental principle lies in the belief that the entire living environment deserves respect and should be acknowledged as possessing inherent moral and legal rights to exist and thrive, independent of its usefulness for human purposes. Naess's philosophy served as a guiding principle for his political actions regarding ecological issues. Recognizing the importance and urgency of this topic, we have prepared this paper to examine the foundations of his philosophy through an analytical approach. The aim is to elucidate the key intellectual references that form the basis of his philosophical style and actions.

Keywords: Arne Naess; Deep Ecology; Environmental Crisis; Gandhian Non-Violence; Political Action.

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

في العقود الأخيرة، أدت الأزمة البيئية المتصاعدة إلى إبراز الحاجة الملحّة للإنسانية لإعادة تقييم علاقتها بالطبيعة. لا تتطلب التحديات البيئية التي نواجهها اليوم حلولًا علمية وتكنولوجية فحسب، بل تتطلب أيضًا تحولًا عميقًا في وعينا الفردي والجماعي. تقدم الإيكولوجيا العميقة، وهي منظور فلسفي وإيكولوجي، إطارًا لفحص علاقتنا الأساسية بالعالم الطبيعي وتحثنا على طرح أسئلة جذرية حول دورنا ومسؤوليتنا داخله.

في قلب الأزمة البيئية تسكن أزمة وعي أعمق تُنادي الأفراد إلى دراسة افتراضاتهم وقيمهم وسلوكياتهم تجاه العالم الطبيعي بشكل نقدي. تحثّنا الإيكولوجيا العميقة لتجاوز الاهتمامات السطحية والانخراط في تحقيق عميق في طبيعة وجودنا ومكاننا داخل شبكة الحياة. إنه يتطلب أن نسأل أنفسنا أسئلة جوهرية حول علاقتنا بالطبيعة، والتشكيك في النظرة البشرية السائدة للعالم والاعتراف بالقيمة المتأصلة والترابط بين جميع الكائنات الحية. فقط من خلال هذه العملية الإستبطانية يمكننا أن ندرك حقًا حجم الأزمة البيئية وضرورة اتخاذ إجراءات.

إنّ اكتساب نظرة ثاقبة للأزمة البيئية يستلزم بالضرورة تحمل مسؤولية أفعالنا على المستوى الفردي. بمجرد إدراكنا للترابط بين كل أشكال الحياة وهشاشة نظمنا البيئية، يضطر الأفراد إلى اتخاذ قرارات واعية وبدء التغيير من داخل جماعاتهم المحلية ويكون هذا بأفعال بسيطة لكنها تحويلية كتعزيز التعليم البيئي، والمشاركة في المبادرات الشعبية. من خلال أن يصبح الأفراد عوامل تغيير نشطة في سياقاتهم المحلية، يظهر الأفراد التزامهم بالحفاظ على العالم الطبيعي واستعادته. تعمل هذه الإجراءات الواعية والمسؤولة كأساس لتحول أوسع وتضع الأساس لمشاركة سياسية أوسع.

مع الاعتراف بأن الأزمة البيئية لا يمكن معالجتها بشكل فعال من خلال الإجراءات الفردية وحدها، فإن الإيكولوجيا العميقة تدعو أيضًا إلى النشاط السياسي الجماعي. ومع ذلك، فإن هذا النشاط متجذر في الالتزام باللاّعنف والسعي عن طريق الوسائل السلمية لتحقيق أهدافه. من خلال الانضمام معًا في النضالات السياسية، يمكن للأفراد والمجتمعات الدعوة إلى تغييرات منهجية، والتأثير على عمليات صنع السياسات، وتحدي الممارسات غير المستدامة التي تساهم في التدهور البيئي. يسعى النشاط السياسي الذي يسترشد بمبادئ الإيكولوجيا العميقة إلى منع الكوارث البيئية المستقبلية من خلال إعطاء الأولوية للرفاهية البيئية(Ecological Well-Being) على المصالح الاقتصادية قصيرة المدى. إنه يتصور مجتمعا يكون فيه الانسجام البيئي والعدالة الاجتماعية مترابطين بشكل جوهري، وحيث تعيش البشرية في وئام مع العالم الطبيعي، وعليه

نطرح الإشكال التالي: إذا كان الوعي بخطورة أزمة بيئية هو أول خطوة نحو التغيير، فما الذي يجب علينا أن نفعله من منظور آرني نايس؟ وكيف نفعله؟

2- منطلقات الوعي الإيكولوجي

سنحاول من خلال منطلقات الوعي الإيكولوجي إزالة الضباب عن مفهوم «الأزمة البيئية» (Environmental Crisis) وارتباطه بمفهوم آخر أكثر تعقيدا ألا وهو الوعي؛ انطلاقا من الوعي كمفهوم فلسفي ثمّ إلى الوعي وارتباطه بالأزمة البيئية.

2-1- الوعي بالذات من الوعي بالبيئة

أ- الأزمة البيئية:

ما الذي نعنيه لمّا نتحدث عن أزمةٍ بيئية؟ ما الذي يجب أن نعيه بالضبط؟ لعلّ الأجدر أنّ نتبيّن مفهوم الأزمة أوّلا. «في نظامٍ حيوي كالمجتمع مثلا، نسمّي أزمةً كلّ اضطراب يؤثر إلى حدّ ما تأثيراً خطيراً على استقرار هذا النظام. فتتسبب الأزمة في فشل الضوابط التي تمنع السلوكيات المنحرفة» (Morin, 2022, p. 27). والسّير الحسن للمجتمع. إن لم يتم اتخاذ التدابير العاجلة والناجعة حيال تلك الانحرافات والاضطرابات فإنها ستؤول إلى قوى مرعبة تفتك بأعماق البنية التي تسيّر المجتمع. كلّما زاغت تلك القوى المنحرفة عن المسار الصحيح، فإنها تتحوّل إلى فوضى وعنف وحتّى ثورات غير منظّمة تحرق وتدمّر الأخضر واليابس، والصديق قبل العدوّ. في المجتمعات النامية التي هي في طريق التطوّر والدول الكبرى المتقدمة صناعيا على حدّ سواء، لا يمكن فصل تطوّرها عن نموّها الاقتصادي المستمرّ. وكما نعلم، فإنّ النموّ التقنو-إقتصادي (Techno-Économique) هو المتسبب في الأزمة الإيكولوجية الهائلة للغلاف الحيوي(Biosphère) والغلاف البشري(Anthroposphère) بعد تخطّيه عتبة معيّنة (Morin, 2022, p. 28)، إذ غالبًا ما يعتمد كلّ من التطورات التكنولوجية والنمو الاقتصادي على استخراج واستهلاك الموارد الطبيعية مما يمكن أن يؤدي إلى الاستغلال المفرط للموارد البيئية واستنفادها وتدهورها. من الناحية الفلسفية، يثير هذا أسئلة حول علاقتنا بالطبيعة والاعتبارات الأخلاقية المحيطة باستخدامنا للموارد الطبيعية. إنه يدعو إلى التفكير في مسؤولياتنا كحراس للأرض والعواقب طويلة المدى لأفعالنا.

كانت نتائج الأبحاث البيولوجية منطلق الحركات البيئوية التي تنادي بإنقاذ الكوكب الأزرق لأنّ اختلال النظام الإيكولوجي أضحى خطراً يحدق بالجميع عن قرب و عن كثب و لا مجال للتجاهل أو الفرار، ولا حتى الاستمرار في نفس السياسات الاقتصادية التي تنهك موارد الأرض من جهة، و تطرح نفايات أسواقها الرأسمالية من جهة أخرى دون مبالاة بالعواقب الوخيمة، أو حتّى مساءلة سياساتها المطبقة لنقدها و تحسينها لتتماشى مع الحياة ككلّ و تحفظ بقاء و تنوّع و اختلاف الكائنات الحيّة بمختلف مجال عيشها سواء كان في البراري أو أعماق المحيطات و ضروب الجُزر. «دراسة الأنظمة الإيكولوجية تجعلنا ندرك جهلنا. مع نتائج الخبراء الذين يلفتون انتباهنا إلى حالة

حرجة تؤكد على افتقار الجميع من جماعات علمية، وعامّة الشعب ورجال السياسة إلى المعرفة، ولابدّ من إجراءات تحارب هذا النقص المعرفي الذي يسفر عنه جهل بالأزمة الإيكولوجية التي تهمّ كلّ الأطراف والشّرائح» (Naess & Rothenberg, 1992, p. 27). هذه الأزمة أو بالأحرى الكارثة الإيكولوجية تتمظهر من خلال تدهور كبير في البيئة يهدد النباتات والحيوانات وغيرها من السمات الإيكولوجية لمنطقة معينة. قد يحدث الأمر فجأة بسبب تحطّم ناقلة نفط، أو قد تبزغ الآثار التراكمية للضرر البيئي عبر مدة زمنية أطول، وما حدث في سيبيريا الغربية أحسن مثال على ذلك؛ «فقد أدى الاستغلال السريع وغير المنضبط للغابات والرواسب المعدنية واحتياطات البترول إلى كارثة على مستوى منطقة كانت حتى الستينات والسبعينيات من المناطق الهادئة والأقل اضطرابا في العالم» (Kemp, 1998, p. 115).

دون ضوابط أخلاقية لن نردع الاندفاعات اللاعقلانية التي تمتص الأرض. بتعبير آخرٍ؛ دون فلسفة إيكولوجية، لا يمكن للإيكولوجيا وحدها بنتائجها وأبحاثها أن تنتج مبادئ توجّه الفعل وتصوّب خطاه، ولا دوافعَ سياسيةً لمجهودات الأفراد. لذلك فإنّ منظور الإيكولوجيا العميقة (Deep Ecology) الذي صقله آرني نايس يتميّز كونه يبدأ بطرح أسئلة عميقة وجوهرية لتقصّي الذات وارتباطها بأبعادٍ أخرى بطريقة مركبة حيث كلّ وحدة تتميّز بكينونتها المختلفة وتشابكها مع الوحدات الأخرى في نفس الوقت. فالإنسان ليس مسيطراً على الطبيعة ولا هو سيّد عليها كما جاء به التصوّر الديكارتي، ولا هو كائن متعالٍ نزل من السماء بحسب تعابير الإنجيل، «كلّ من الكنيسة القروسطية والجدلية الماديّة هدفوا إلى تحقيق نوع من الاكتمال، لكنّهم بالكاد حققوا نجاحاً دائما» (Naess & Rothenberg, 1992, p. 38). إنما الإنسان جزء من هذا النظام الحيوي بكلّ كائناته الحية من حيوانات ونباتات على مستوى الغابات والبحار وخلاياه تنقسم بنفس الشكل ويشترك معها في التكاثر والبقاء؛ إذ يشكّل هذا الكل ما يسمى بالنظام الإيكولوجي(Ecosystem) الذي يعمل على طبيعته في كلّ تناغم وتوازن وتكافل (Symbiosis) أين تكون التبادلات بين مختلف الكائنات تشاركية وتبادلية، ليست طفيلية واستغلالية لطرف على حساب طرف آخر.

فما الأزمة البيئية إذاً؟ ماذا نعني بتدهور البيئة؟ ببساطة هي تدمير كلّ ما هو محيط بنا، في اللحظة التي نحن مُنْوَجِدون داخل هذا المحيط. لا ندمّر فقط الجانب المادي للطبيعة، بل جلّ سبل عيشنا، وتلك الوحدات الحيوية التي ندرك من خلالها ذواتنا (Naess & Rothenberg, 1992, p. 7) فبالنسبة لآرني نايس، الحيّز الإيكولوجي الذي سبق ذكره يحتوي هويتنا في إطارٍ غاية في التناغم، مما يكشف عن ذواتنا العُليا.

ب-الوعي البيئي

«أن نقول عن كائن أنّه يحسّ، ويدرك، وأنّه يتذكّر شيئاً ما ويستعدّ لفعلٍ معيّنٍ ويعتبر نفسه موجّها لأنطولوجيته نحو غايةٍ ما، معناه بالضرورة أنه كائن يتميّز بالوعي» (Dictionnaire

(de la Philosophie, 2016, p. 952). الوعي هو الوضوح واليقظة، بعبارة أخرى إنّه النّور ولا يمكن للنّور الأصيل إلا أن يخلق الوحدة ويتغلّب على الانقسام والتشتت. الوعي الأساسي عالميّ كونيّ ويتجاوز العهود والمغامرات البشرية بمختلف سردياتها. لكن الوعي هو أيضا أحد الفضائل الرئيسية التي يحرم منها البشر في ظلّ العولمة المُعاشة بسبب طرق التظليل والتشويش من دعايات سياسية عبر وسائل الإعلام. وبالوعي، يجب أن نفهم هنا حالة يدرك فيها الإنسان، بعيداً عن أيّ شكل من أشكال الوهم؛ الوقائع دون تزييف. وهو ينظر الى تلك الوقائع بوضوح وفي عُريها غير مكتسية ثوباً زائفاً وفي وحدتها الأولى، وبالتالي يتحمل مسؤولياته بمعرفة كاملة بالحقائق ويعي جهله إن أراد استمرار جنسه وباقي أشكال الحياة على سطح هذا الكوكب، الذي هو مصباحه المنير والمتلألئ بالحيوية وسط المجرّات المظلمة (Rabhi, 2016, p. 29). مع إدراك الإنسان أنّه ليس الذات الوحيدة والمطلقة في هذا الكون ولا المتحكّمة من أعلى الهرم في الطبيعة وتراكيبها الحيوية، فهذا يضعه في موقف يفرض عليه مسؤولية إيتيقية حيال المصير الكوني في مواجهة غرائز الدمار المحدقة بالتوازن الإيكولوجي، فكيف له أن يحذو حذوا يربط بين المبادئ الأخلاقية وصناعة القرار؟ يرتكز هنا آرني نايس على الميتافيزيقا السبينوزية ومقولات الفهم الجشطالتي؛ يشير على أنّ الكثير ممن يلجون عالم الإيكولوجيا يقزّمونها إلى مجرّد علم طبيعي وضعي فيخلصون إلى رؤية سطحية للنظام الإيكولوجي بسبب ضيق زاويتهم، بدلا من أن يتبنّوا مقاربات أكثر عمقاً وكلّانية مثل مفهوم سبينوزا(1632-1677) Spinoza للطبيعة(natura) (Naess & Rothenberg, 1992, p. 39).

يكمن العثور على الرابط بين سبينوزا والإيكولوجيا العميقة في تركيزهما المشترك على مفهوم الطبيعة الطابعة (natura naturans). طوّر سبينوزا نظامًا ميتافيزيقيًا شاملاً يرى الطبيعة ككيان مترابط وديناميكي. الإيكولوجيا العميقة، وهي فلسفة بيئية أكثر حداثة، تدرك أيضًا الترابط بين جميع الكائنات الحية وتدعو إلى تحول عميق في فهم الإنسان لعلاقته مع الطبيعة. فينتهي نايس يتأثير من سبينوزا أنّ الكائنات الغير بشرية تمتلك هي كذلك قيمة متأصلة وجوهرية (intrinsic value) وأنّ البشر جزء لا يتجزّأ من هذه الطبيعة؛ فيقوم بالإنتقال من المركزية البشرية (Anthropocentrism) إلى المركزية البيئية(Ecocentrism) أين جميع الكائنات سواسية ويتمتعون بنفس الحقوق دون أيّ تمييز أو تفاوت كونهم من طبيعة واحدة.

أمّا بالنسبة للجشطالت(Gestalt)، فترى هذه النظرية أن إدراكنا ليس مجرد مجموع محفزات فردية بل هو تجربة شاملة ومتكاملة، حيث تنظم عقولنا بشكل طبيعي المدخلات الحسية في أنماط وتكوينات ذات معنى (Dictionnaire de la Philosophie, 2016, p. 4172). من ناحية أخرى، فإن الإيكولوجيا العميقة هي فلسفة بيئية تعترف بالقيمة الجوهرية للطبيعة وتدعو إلى تحول عميق في علاقتنا بالعالم الطبيعي وتسلط الضوء على الترابط بين جميع الكائنات الحية، مع التركيز على الحاجة إلى النظر إلى النظم البيئية على أنها مجموعات مركبة ومتكاملة بدلاً من

أجزاء منعزلة. يشير هنا آرني نايس أنّ نظرية النظم البيئية تميّز بين ما هو معقد دون أي جشطالت أو مبادئ موحدة، وبين ما هو مركب؛ «الكائنات الحية، وطرق الحياة، والتفاعلات في المحيط الحيوي بشكل عام، تظهر تركيباً ذو مستوى عالٍ بشكل مذهل يلون النظرة العامة لعلماء البيئة. مثل هذا التركيب يجعل التفكير بمنظور الأنظمة الواسعة أمرًا لا مفر منه. كما أنه يفضح عمق الجهل الإنساني بعلاقات الغلاف الحيوي وبالتالي إثارة احراجات فكرية» (Naess, 2008, p. 97). في البداية تكون رؤية الفرد الأنطولوجية محدودة وأحادية البعد. لكن مع اتساع الوعي يبدأ في إدراك العلاقات المركبة والشائكة التي تربط بين جميع الأطراف والوحدات، ثمّ فجأة يتّسع وعاء الفهم وتلج إلى مجال رؤيتنا أنوار جديدة، ثمّ في لحظة معيّنة يحدث لنا استبصار تتضح لنا من خلاله الرؤية وتكتمل الصّورة (Naess & Rothenberg, 1992, p. 8).

غالباً ما يوجّه النقد للإيكولوجيا العميقة على أنّها غامضة وذات مفاهيم مبهمة، لكنّ آرني نايس يرجع ذلك إلى صعوبة التعبير عن الربط المركب بين الحدوس المستبصرة في لحظات آنية ويجيب في إحدى محاوراته قائلا: «كثيراً ما يصاب القرّاء بإحباط لأنني أكتب كتابا كاملا حول حدوس لا أقوم بتعريفها ولا بشرحها جيّداً. هذا النقص في الشرح يحيّر القارئ بغضّ النظر عن ثقافته، لكن عند سماعك جملة كمثل "إنّ كلّ الحياة في الأساس هي واحدة"، عليك أن تكون متفتّحا أولا لتذوّق هذه العبارة قبل أن تباشر بالسؤال عنها. أو كقولك "ما الذي يعني هذا؟"» (Naess & Rothenberg, 1993, p. 151). من خلال "تذوّق" عبارة ما، يدعو نايس القراء للانخراط معها بشكل تجريبي والتفكير في آثارها، والسماح لها بأن يتردد صداها في فهمهم الشخصي. بدلاً من البحث عن تحليل فكري فوري أو المطالبة بتعريف صارم، يقترح أن يكون المرء منفتحًا على الإمكانات الحدسية لقضيّة ما. يقر هذا النهج بأن بعض جوانب الواقع أو الرؤى الفلسفية العميقة قد تستعصي على تصور دقيق ولكن يمكن إدراكها أو تقديرها من خلال التجارب الشخصية أو الحدس.

2-2- الجماعة المحلية والعولمة

سنتبين من خلال الجماعات المحلية والعولمة كيف انّ نضج وعي الفرد من نضج وعيه بمحيطه الذي يعيش فيه مع جماعته في تعاملات مع النظام البيئي وجماعات أخرى تتقاسم همّ القضية الإيكولوجية وتبادر بالفعل والمساهمة ببصمتها ضمن تحدي العولمة.

لمّا نتحدث عن المجتمع فإنّ التعبير بالضرورة يشتمل جماعات هذا المجتمع بتشابهاتها واختلافاتها حسب المناطق المتموضعة فيها. والتموضع المكاني الذي ينتج عملا جماعيّا على المستوى المحلّي هو أحد أهمّ مرتكزات الإيكولوجيا العميقة ودائما ما تثمّن تكافل أفراد الجماعة في فاعليّتهم. تتمتّع الجماعات المحليّة بنوع من الحدس يدفعها للعمل والاشتغال حتّى تضمن بقاءها ولا يتمّ ابتلاعها في نسقٍ أكبر منها كالاستهلاكية اللاعقلانية التي تميّز الحياة المعاصرة في ظلّ العولمة على

سبيل المثال، ممّا يصعّب على جماعة معيّنة التعرّف على خصائصها المميّزة التي تمنحها سمة جماعة محليّة فاعلة في محيطها. ولذلك نجد تلك الجماعات التي تسمّي نفسها بالجماعات الخضراء(Green Communities) ، وهي فاعلة في المجال البيئي وحمايته سواء بنشر الوعي الإيكولوجي أو بالفعل الجماعي على مختلف الأصعدة.

إنَّ للعولمة(Globalization) تأثير كبير على الجماعات المحلية وفضائها، ذلك أنها تقلل من استدامة النظم البيئية (Ecosystems) وخدماتها الحيوية. الجماعات المحلية معرضة بشكل كبير لتأثيرات العولمة، خاصة تحت الضغط المتزايد لاستخراج منتجات وموارد النظام البيئي لتزويد احتياجات ومتطلّبات الأسواق المحلية والعالمية (Randhir, 2016, pp. 388-389). يمكن أن يؤثر الاستغلال غير المُدار للمياه والأخشاب والحياة البرية والسياحة ومنتجات الغابات على قدرة هذه الجماعات المحلية على استدامة ما تقدّمه من خدمات؛ إذ تواجه هذه الجماعات ضغوطًا متزايدة تحت التغيّرات السريعة والغير مستبقة لمحيطها البيئي، فهناك حاجة لمحاربة الانعكاسات السلبية للعولمة. دون إدارة فعالة وآلية تنظيمية، قد تؤدي العولمة إلى تفاقم الضرر البيئي. تزيد العولمة من استغلال الموارد في البلدان المصدرة، مع التوسّع الجغرافي والزمني السريع في معدلات الاستخراج، مما يسبب ارتفاعا في نسبة التلوّث و النفايات الكيماوية المصاحب لاستخراج مصادر طاقات معيّنة، الذي بدوره ينعكس سلبا على النظام الإيكولوجي و يفقده تنوّعه البيولوجي(Biodiversity)، كما أنّ العولمة الاقتصادية إلى جانب تغيّر المناخ يشكّلان تهديدا مزدوجا للغابات و الأرصدة السمكية؛ على غرار الغابات الاستوائية الرطبة والأراضي الرطبة والتنوع البيولوجي لنبات البحر الأبيض المتوسط(Fava, 2022) .

يرى نايس أنّ الجماعات النخبوية صاحبة النفوذ السياسي والاقتصادي مارست هيمنة استغلالية على كوكبنا وقادتنا قاطبة نحو الهلاك، وهذا يدلّ على فشل أخلاقي يحمّل تلك الجماعات ديونا على المستويين الزمني والجغرافي وجب تسديدها وتعديل ما يجب تعديله بشكل مناسب. مصطلح "الفشل" له دلالات محفوفة بالعار تميل للشمولية وللمطالبة بشكل من القصاص في هذا السياق، مما قد يسبب شللا خاصة للأفراد والجماعات الذين كانوا متواطئين عن جهل. في المقابل، نجد في الإيكولوجيا العميقة دلالات أوسع حول الذنب تنطوي على إيقاظ شعور بالمسؤولية يحفّز على اتخاذ إجراءات واعية تنبثق صوب الفعل، ومتجهة نحو آفاق مستقبلية ذات أنظمة تعمل بطريقة غاية في التناغم وتعزز التوازن البيئي والاجتماعي على حدّ سواء؛ أي ما أسماه أحد الأخصائيين بال(Symbiocene) (Albrecht, 2019, p. 201).

تسعى الإيكولوجيا العميقة إلى مقاومة العولمة وإنشاء مجتمعات تقلل بشكل كبير من الاعتماد على الوقود الأحفوري والموارد الأخرى عبر تغيير جذري في العلاقة بين البشر والطبيعة. من

خلال إنشاء جماعات صغيرة الحجم تتمتع بقدر أكبر من الاكتفاء الذاتي، حتّى يتسنّى لها تقليل اعتمادها على الموارد العالمية وإنشاء علاقة أكثر استدامة مع البيئة، «وإنّه لمن الحكمة الإيكولوجية أن تكون الفاعلية الجماعية على المستوى الداخلي والمستوى الخارجي في بلوغ الأهداف المنشودة» (Naess & Rothenberg, 1992, p. 143). لذلك يتطلّب الاعتماد الذاتي لتحقيق الاكتفاء أن يكون أفراد الجماعة متمتعين بقدرٍ عالٍ من الحساسية والادراك تجاه قيمهم، والعقبات التي ستعترض طريقهم، وما الذي يمكنهم القيام به سياسيا لتحسين ظروفهم، أي أنّ الفاعلية لن تتجسّد على أرض الواقع إلا داخل جماعة متماسكة ذات اتساق منطقي وإيتيقي مع الطبيعة (Naess & Rothenberg, 1992, p. 144).

لما نتحدثّ عن المجتمع البشري و الطبيعة التنافسية التي تميّز جزءً كبيرا من أنطولوجيته التاريخية، فإنه لمن البديهي أن نجد شخصيات كانت ذات فاعلية سياسية يُشهد لها في المحافل الدولية و لها ما لها و عليها ما عليها في خضمّ المعتركات الأيديولوجية، «سواء كانت الأيديولوجيات ليبرالية أو شمولية، فهي في العصر المعاصر مسؤولة إلى حدّ كبير عن التقسيمات العنيفة مثل تلك بين الشرق و الغرب التي لا تزال كامنة، و التي تسعى الاستراتيجيات الجيوسياسية لفكّها و وضع حدّ لها لأنها تزيد من الاحتقان و التوتر» (Rabhi, 2016, p. 70). لكن من الأحسن أن نوجّه البوصلة إلى وجهة حققت انتصارات معتبرة بأقلّ قدر ممكن من الخسائر بدلالة الزّمن؛ لهذا يرى آرني نايس في شخصية مهاتما غاندي(1869-1948) Mahatma Gandhi أحسن قدوة.

3 – الفعل السياسي

ولجنا درب الفعل السياسي حيال المعضلة و كيف اعتمد آرني نايس-1912)Arne Naess (2009 على نموذج في النضال لصالح القضية الإيكولوجية أثناء صراعاته السياسية مع أطراف كان يرى في طرقها سطحية في التفكير و لامبالاة، ولذلك وجب عليه اتباع طرق راشدة بعيدة عن همجية الاقتتال القبلي(tribal fighting)

3-1- السلمية الغاندية

النضال الإيكولوجي لا يمكنه تجنّب السياسة. فهو متورّط بشكل أم بآخر على الصعيدين المحلّي والدولي في الساحات السياسية، مما يعني أن الأفكار والمنطلقات والأهداف الإيكولوجية لن تحقق أي تغيير على مستوى الواقع ما لم تطبّق عن طريق قرارات وأفعال سياسية. ولقد رأى نايس في غاندي مثالا يؤخذ بنهجه لمّا طرح التساؤل: «ماذا عن غاندي؟ لقد كان تحت الرقابة الصارمة والمدققة لقرابة الخمسين سنة. نعم، إنّه عبقريّ اللّاعنف، ولكنّه كان مقاتلا شرسا، وسياسيا ماكرا في نفس الوقت. ولمّا أتكلّم عن حيثيات انبثاق سياسته في تحقيق الذات والاكتفاء الذاتي، فقليلون هم الذين وصلوا إلى مثل ذلك المستوى العالي» (Naess & Rothenberg, 1992, p. 196).

تبنّى ماهاتما غاندي(1869-1948) Mahatma Gandhi في نضاله السياسي طريقة تنبثق بشكل رئيسي من فلسفتين هندوسيتين؛ أولهما تسمى ساتياغراها(Satyagraha) و تعني التمسّك بالحقّ. مادام المناضل يعلم أنّه على طريق الحقّ فإنّه يستمدّ قوّته في الصبر والكفاح من ذلك لأنّ الحقّ هو من سينتصر في النهاية (Sullivan, 2001, p. 314)، كما طعّم ذلك بفلسفة أخرى تسمى أهيمسا(Ahimsa) وتعني اللّاعنف، وهي مبدأ سائد في الجماعات الزاهدة وتعتبر مفهوما مثاليا تعيش به الديانات الهندوسية. يقول: «اللاعنف هو أعظم قوة أعطيت للإنسان. الحقّ هو هدفه الأسمى، ذلك أنّ الله والحقّ واحد. ولن يتمّ بلوغ الحقّ بأسلوب آخر غير اللّاعنف» (Jahanbegloo, 2021, p. 54).

جعل غاندي من هذا المبدأ حجر الأساس لبرنامجه السياسي لحشد الشعب الهندي حتى ينال استقلاله من بريطانيا. بتركيز غاندي على مبدأ أهيمسا كمبدأ إيتيقي، تمكّن من جعل الشعب الهندي يتّخذ موقفا أخلاقيا في احتجاجاته، مما أكسبهم احترام الأمم الشرقية والغربية بمن فيهم بريطانيا (Sullivan, 2001, p. 47)، متمشيّن بقوّة الحقّ، أي الساتياغراها، ويصبون نحو الحقيقة؛ ذلك أنّ الحقيقة يدرك جزء منها عن طريق مختلف الزوايا المعرفية التي تتم المقاربة من خلالها، وأنّ كلّ معرفة هي محلّ خطأ وتصحيح (Parekh, 1991, p. 147).

أدرك نايس الآثار العميقة لفلسفة اللّاعنف لغاندي ودمجها في نظرته البيئية للعالم، إذ رأى اللّاعنف كاستراتيجية سياسية للحفاظ على البيئة الطبيعية. بالنسبة إلى نايس، تستلزم الإيكولوجيا العميقة الاعتراف بالترابط بين جميع أشكال الحياة بما في ذلك البشر والطبيعة. وفي هذا السياق توصّل أنّ العنف ضد الطبيعة، مثل تدمير النظم البيئية واستغلال الموارد، مرتبط بشكل أساسي بالعنف ضد الإنسانية.

يمكن فهم قراءة نايس للسلمية الغاندية من زاوية الإيكولوجيا العميقة بعدة طرق. أولاً، كان يعتقد أن العنف ضد البيئة، بما في ذلك ممارسات مثل التلوث وإزالة الغابات والإفراط في الاستهلاك، يؤدي في النهاية إلى تدهور رفاهية الإنسان. فمن خلال الحفاظ على العالم الطبيعي واحترام قيمته المتأصلة، جادل نايس بأنه يمكننا تحسين نوعية الحياة البشرية وتعزيز العدالة والمساواة. ثانيًا، قام نايس بتوسيع مفهوم اللاعنف ليشمل المعاملة الأخلاقية لجميع الكائنات الحية. وشدد على ضرورة الاعتراف بحقوق ومصالح الأنواع غير البشرية والامتناع عن الأعمال التي تضر بها. يتوافق هذا المنظور مع إيمان غاندي بالقيمة المتأصلة لجميع أشكال الحياة وحاجة البشر للعيش في وئام مع الطبيعة.

2-3- نايس والفعل السياسي

شدّد نايس على أهمية المقاومة اللّاعنفية والعصيان المدني(Civil Disobedience) كوسيلة فعالة للعمل السياسي في إطار الإيكولوجيا العميقة. مستلهما من ساتياغراها غاندي، أو قوة الحق، أكّد نايس بأن النشاط السلمي والسعي وراء الحقيقة أمران حاسمان لتحدي النموذج السائد المدمر للبيئة، ولتعزيز العدالة البيئية.

يصرّ آرني نايس على أنّ النّضال الإيكولوجي حتى يحقق مطالبه، يجب أن يكون بطرق سلمية ومباشرة ومرئية للجميع بعيدة عن الفوضى العشوائية، عن طريق نهج اللّاعنف بالمفهوم الغاندي إذ أنّ هذا الأخير كان هو الآخر مرتكزا على خلفيات فلسفية نابعة من تراث بيئته كانت بمثابة بوصلته في الممارسة السياسية. ولابدّ من تفهّم أن العراقيل البيروقراطية الى جانب تلك التي تأتي من قطاع الصناعة ستعترض طريقنا دون توقف كونها من الطرف المعادي للإيكولوجيا. فلا بدّ من الشرح للمناصرين أن المقاومة تتطلّب نفسا طويلا ولابدّ من إعلامهم بمراحل المخطط النضالي بكلّ شفافية لتسديد الرؤية الجماعية (Naess & Rothenberg, 1992, p. 147).

وعليه فإنّ النهج الغاندي في هذا النضال ينبني على الابتعاد قدر المستطاع عن اللّجوء إلى حلول غير شرعية، وأن يكون النشاط في إطار ما يخوّله القانون. ويضرب مثالا بالولايات المتحدة الأمريكية وكيف تمكّن ثلّة من المحامين من وقف قرارات سياسية لم تكن في صالح الإيكولوجيا. ويصرّ على ضرورة وجود هدف واضح وواقعي بخطى مفهومة، ذلك أنّ الخصم ليس رجال الشرطة الذين يمنعون الاحتجاجات والوقفات السلمية، بل أصحاب السلطة الذين يتموضعون في أعلى الهرم. ولمجابهتهم يجب القيام بحملات سلمية تنجح بعض أهدافها، وتفشل بعضها قبل أن نعود اليها مجددا في وقت لاحق حتى تنجح هي بدورها وهكذا دواليك في استمرارية حيوية. يضيف على سبيل المثال القيام بوقفة احتجاجية لمنع بناء سدّ في منطقة طبيعية معيّنة، هذا قد ينجح. ولا بدّ له أن يكون جزءً من أهداف أخرى متعددة وغير منفصلة تجمعها راية واحدة. «فلنقل أننا نريد أن ننقذ نهرا معينا من مشروع بناء، يجب أن نفكّر أنّ إنقاذ هذا النهر هو من انقاذ الغابة كلّها، فإذا أخفقنا في النجاة بهذا النهر، فيجب أن نهبّ للإحاطة بالنهر الآخر في نفس الغابة، والمجاور له، والذي يليه...وهكذا دواليك» (Naess & Rothenberg, 1992, p. 147). شرط النجاح في هذه الطريقة السلمية هو الصمود والكفاح حتى يصل الصوت لأكبر عدد ممكن من الناس لينظمّوا إلى القضيّة لأنها تجمعنا تحت مصير مشترك. ثمّ إنّ هذه الطريقة، أي نهج الحملة ضمن التيّار الإيكولوجي، يمكّن من امتصاص إحباطات الفشل عندما يُنظر لما تمّ تحقيقه، مما يزوّد الأفراد بإرادة لمواصلة المسير، لأنّ الإيكولوجيا العميقة لها أبعاد سيكولوجية وثقافية كذلك.

تجربة آرني نايس السياسية في الفضاء الإسكندنافي تبيّن أن نجاح الحملات الإيكولوجية يتوقّف بالدرجة الأولى على مؤشّر اللاعنف. فكان يخبر خصومه بأهدافه ووجهة نظره قبل اتخاذ أي إجراءات فعلية. في نزاع الآلتا (Alta Controversy) [1] بالقطب النرويجي تمّ إخطار الخصوم أصحاب السلطة لمدة تسعة سنوات قبل الشروع في الوقفة السلمية الاحتجاجية، وحينما نزلوا إليهم في الميدان النضالي تمّت دعوتهم للتحاور على فنجان قهوة لتجنّب أي شكل من أشكال سوء التفاهم. وأما بالنسبة للوقفة الاحتجاجية في شلالات الماردالا (Mardalsfossen) [2]، تمّ استقبال رجال الشرطة بحفاوة. الالتقاء بالخصم بأكبر عدد ممكن من المرات يعدّ نقطة مركزية في المقاربة الغاندية للفعل السياسي كي يصل الصوت إلى أبعد ما يمكن الوصول اليه، مع تجنّب أي قدح للمكاسب الصغرى مهما بدت لنا في البداية، لأنّ الواقع يبيّن أنه بهذه الطرق السلمية تمّ تغيير آراء الكثير من أصحاب السلطة والساسة وكسب أصواتهم لصالح القضية الإيكولوجية. واليوم، تقف شلالات الماردالا كشهادة على قوة فاعلية الجماعات المتكتلة وأهمية حماية المواقع المهمة بيئيًا. تستمر الشلالات في جذب السياح وترمز إلى تذكير بالتحديات والمسؤوليات المستمرة في الحفاظ على علاقة مستدامة بين البشرية والطبيعة.

4- خاتمة

في مجمل القول، وبعد كل هذا الأخذ والردّ نكون قد توصّلنا بخصوص الإشكال المطروح إلى ما يلي:

تفرض الأزمة البيئية علينا مساءلة ونقد القيم الأساسية لأنظمتنا الاجتماعية والاقتصادية الحالية. تدفعنا إلى التفكير في إحداث نقلة نوعية مغايرة للنموذج السائد المدمر للطبيعة، نحو أُفق جديد يعترف بالترابط بين البيئة ورفاهية الإنسان. يستلزم ذلك استكشاف نماذج اقتصادية بديلة تعطي الأولوية للاستدامة والممارسات التجديدية ورفاهية كل من المحيط الحيوي والمحيط البشري. لذلك تدعونا فلسفة آرني نايس الإيكولوجية إلى إعادة تقييم مركزياتنا وقيمنا ودور التكنولوجيا في تشكيل علاقة أكثر انسجامًا مع البيئة، حتى ندرك القيمة الجوهرية للطبيعة وتتحسّن علاقتنا مع العالم الطبيعي عن طريق تسليط الضوء على مكونات البيئة على أنها تراكيب متكاملة ومركبة ومترابطة وليست شذرات منعزلة ومنسلخة نرقّع بعضها ونتناسى الباقي.

فلسفة آرني نايس ليست تأملية بحتة وبعيدة عن التطبيق، بل تتجه صوب الفعل السياسي منطلقة من موقف يعي حجم الأزمة البيئية وامتداداتها، بُغية إحداث تغيير على مستوى الواقع وتاريخه النضالي يشهد له بذلك؛ فقد احتضنّ مفاهيم ماهاتما غاندي الفلسفية حول اللاعنف والتمسّك بقوّة الحقّ في مقاوماته لقوى كادت تفتك بمعالم بيئية في بلده وتُحدث كوارث إيكولوجية، لذلك شدّد على السلمية والحوار لأنّ زاوية نظره كانت متّسعة لجميع الأطراف البشرية

والغير بشرية وأنّ إيذاء طرف واحد هو إيذاء أنفسنا وجميع الأطراف. ومنه فإنّ التكتّل الجماعي السلمي والحوار اللاإقصائي هم أنجع الطرق وأقوم ما يمكننا ويجب علينا فعله لصالح القضية الإيكولوجية.

---

[1] نزاع الآلتا حدث بيئي مهم وقع بالنرويج أواخر السبعينات وبداية الثمانينات، أين أراد الحكومة بناء مشروع محطة لتوليد الطاقة الكهرومائية. كان ذلك سيتسبب بفياضانات و تشوه بيئي للمنطقة. تصدّت الجماعات المحلية للمشروع بوقفات سلمية. اكتسبت القضية اهتماما دوليا وأصبحت رمزا للحركات البيئية داخل النرويج وخارجها. يُنظر: (Anderson & Midttun, 1985, pp. 319-320).

[2] قضيّة إيكولوجية أخرى مهمة بتاريخ النرويج وقعت بأواخر السبعينات، و مشابهة لنزاع الآلتا من حيث نوع المشروع؛ أي بناء محطة لتوليد الطاقة. شلالات المارداال من أعلى الشلالات في أوربا وتعتبر موقع سياحي هامّ. بلغ النزاع درجة معتبرة من الشدّة، مساهما بذلك على المستوى السياسي بدفع الحكومة إلى موازنة المصالح الاقتصادية مع الحفاظ على الموارد الطبيعية والثقافية. اليوم، تقف الشلالات كدليل على قوة النشاط العام وأهمية حماية المواقع المهمة بيئيًا. يستمر الموقع في جذب السياح ويعمل بمثابة تذكير بالتحديات والمسؤوليات المستمرة للحفاظ على علاقة مستدامة بين البشرية والطبيعة. يُنظر: (MacDougald, 2008, pp. 103-105) .

قائمة المراجع

1. Albrecht, G. (2019). *Earth Emotions: New Words for a New World.* Ithaca: Cornell University Press.
2. Anderson, S., & Midttun, A. (1985, 0 0). Conflict and Local Mobilization: The Alta Hydropower Project. *Acta Sociologica*, pp. 317-335. Récupéré sur https://www.jstor.org/stable/4194584
3. *Dictionnaire de la Philosophie.* (2016). France: Encyclopædia Universalis.
4. Fava, M. (2022, Mai 09). *Ocean plastic pollution an overview: data and statistics.* Récupéré sur Ocean Literacy Portal: https://oceanliteracy.unesco.org/plastic-pollution-ocean/
5. Jahanbegloo, R. (2021). *Nonviolent resistance as a philosophy of life: Gandhi's enduring relevance.* London: Bloomsbury Academic.
6. Kemp, D. (1998). *The Environment Dictionary.* New York: Routledge .
7. MacDougald, A. C. (2008, Juin 10). Landscapes in Peril? Sense of Place, Hydropower Development, and Natural Resource Politics. Oslo, Blindern, Norway.

8. Morin, E. (2022). *Réveillons Nous!* Paris: Denoël.
9. Naess, A. (2008, Aout 08). The Shallow and The Deep Long- range Ecology Movement A Summary. *Inquiry*, pp. 95-100. doi:10.1080/00201747308601682
10. Naess, A., & Rothenberg, D. (1992). *Ecology, Community and Lifestyle: Outline of An Ecosophy.* Cambridge New York: Cambridge University Press.
11. Naess, A., & Rothenberg, D. (1993). *Is It Painful to Think? Conversations with Arne Naess.* Minneapolis: University of Minnesota Press.
12. Parekh, B. (1991). *Gandhi's Political Philosophy: A Critical Examination.* Houndmills: Macmillian.
13. Rabhi, P. (2016). *La Convergence des Consciences.* Paris: Éditions du Passeur.
14. Randhir, T. (2016, Février 1). Globalization impacts on local commons: multiscale strategies for socioeconomic and ecological resilience. *International Journal of the Commons*, pp. 387-404. doi:10.18352/ijc.517
15. Sullivan, B. (2001). *The A to Z of Hinduism.* Lanham: Scarecrow Press.